الفصل الخامس
التنمية المستدامة ضرورة

التنمية المستدامة والألفية الثالثة

عالم الأمس غير عالم الغد، لكل منهما فلسفته وأفكاره التى تنطلق من مخيلات رجاله، لقد تعهدت قيادات العالم بتحقيق أهداف الألفية الثالثة للتنمية متضمنة تحقيق الهدف الرئيسى وهو تخفيض الفقر للنصف بحلول 2015، ولهذا تقوم شبكة برنامج الأمم المتحدة الإنمائى بربط وتنسيق المجهودات العالمية والقومية لتحقيق هذه الأهداف حيث التركيز على مساعدة الدول لبناء ومشاركة حلول تحديات الحكم الديموقراطى، تخفيض الفقر، منع الكوارث والحفاظ على الطاقة والبيئة، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والقضاء على بعض الأمراض مثل نقص المناعة المُكتسب (AIDS)، وكلها أهداف تتجه نحو التنمية المستدامة.

التنمية المستدامة مصطلح ظهر على الساحة الدولية والمحلية لكي يجد طريقه وسط عديد من المصطلحات المعاصرة مثل العولمة، صراع الحضارات، الحداثة، ما بعد الحداثة، التنمية البشرية، البنيوية، الجينوم، المعلوماتية، وغيرها من التعبيرات التى يجب علينا فهمها لكي نجد لغة خطاب مع العالم، وأيضا لكي يكون لدينا الوعي بفهوم هذه المصطلحات ولا يكون عندنا لبس أو خلط للأمور. إن التعريفات للمصطلحات تأخذ منحنيات وتفسيرات وتأويلات مختلفة طبقا لطبيعة البلد وثقافته، ولوجهة نظر واضع المصطلح، وأيضا لوجهة نظر المفسر للمصطلح، إن ذلك يخلق قدرا من الغموض والإلتباس فى معنى المصطلح ليس فقط لدى العامة ولكن لدى المتخصصين أنفسهم، وكثيرا ما كنت أجد صعوبة فى

تعريف المصطلحات الفنية لدى دراستى للدكتوراه، فالباحث يجد نفسه أمام كم هائل من التعريفات والتفسيرات وعليه أن يختار منها المناسب وما يلائم وجهة نظر البحث، أو عليه أن يبتكر وينحت مصطلحا جديدا لكى يبرهن على وجهة نظره ويصنع إضافة فى تخصصه، وهذا وأحد من إيجابيات البحث العلمى.

وقبل محاولة إستجلاء مفهوم التنمية المستدامة أحب أن أشير إلى خطأ شائع يصنع ترادفا ومزجا بين التنمية المستدامة وبين التنمية البيئية حيث يظن الكثير أن التنمية المستدامة هى المحافظة على البيئة بكل مفرداتها سلامة الهواء والماء، والمحافظة على المحميات الطبيعية وزراعة الغابات، والتشجير، ومشكلات التصحر إلى آخره من القضايا المتعلقة بالبيئة، وإذا كانت الجوانب البيئية ركن أصيل من التنمية المستدامة إلا أنها ليست كل الأركان، فالتنمية المستدامة هى رؤية أكثر شمولية للمجتمع على نحو يفوق البعد البيئى.

وهنا محاولة للتعرف على فهم مصطلح " التنمية المستدامة Sustainable Development " إن تقرير برونتلاند الذي أصدرته اللجنة الدولية للبيئة والتنمية فى عام 1987 بعنوان " مستقبلنا المشترك " عرف التنمية المستدامة بأنها " التنمية التى تلبى إحتياجات الحاضر دون أن يعرض للخطر قدرة الأجيال التالية على إشباع إحتياجاتها "[1] ويمكن أن نلحظ أن التقرير يتنبأ بإمكانية دخول البشرية عصرا جديدا من النمو الإقتصادى يعتمد فى ذلك على عناصر وسياسات من شأنها دعم وتنمية

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 492.

الموارد البيئية الطبيعية. إن دول العالم اليوم تعمل بكل الطرق على تحقيق النمو الإقتصادى والتحديث ليس كوسيلة لإشباع الإحتياجات المادية الأساسية وإنما لتوفير الموارد اللازمة لتحسين نوعية الحياة بصفة عامة، إن تنشيط حركة التصنيع والإنتاج والتشغيل والبيع والشراء والتبادل التجارى، وكذلك الإرتقاء بالرعاية الصحية للأطفال والمرأة والشيوخ ـ لأن الصحة هى الطاقة الحيوية لتفعيل ديناميكية جسد المجتمع ودفعة إلى الأمام ـ وتطوير التعليم الذى يعتبر بعدا جوهريا فى النظر للمستقبل ولا ننسى هنا التقرير الشهير " أمة فى خطر " الذى تأمل مضمون التعليم ورسالته ومن ضرورة أن يعتمد التعليم على المشاركة والحوار، وتنمية التعليم الذاتى، والحلول الإبتكارية، موسوعية المعارف والمهارات ، إستخدام التقنيات الحديثة، ، وكذلك أبعادا آخرى مثل إيجاد فرص عمل من خلال مشروعات إستثمارية، تمكين المرأة، مشاركة المجتمع المدنى وغيرها من عوامل التنمية، كل ذلك لتنمية القدرات المجتمعية لمواجهة التحديات المستقبلية والتى تدخل ضمن منظومة التنمية المستدامة.

ولكن نظرا لأن البعد الإقتصادى بعدا أصيلا فى التنمية المستدامة فإن مشروعاته الكثيرة والمتنوعة تجهد البيئة سواء من خلال إستخدام الموارد الطبيعية والتى هى قابلة للنضوب أو لما تحدثه من هدر أو تلويث مما يعرض البيئة للتدهور وأيضا الأجيال القادمة للخطر، وعلى ذلك تحاول فلسفة التنمية المستدامة أن تحل هذه الإشكالية بأن تتخذ القرارات على شتى المستويات فى المجتمع لسلامة أفراده، وتأخذ فى إعتبارها سلامة البيئة التى يمكن أن تنجم عن تلك القرارات، وهذا يقود إلى الإهتمام

بالبيئة وسلامتها فى كل جوانبها، لذلك تتطلب التنمية المستدامة نمط من النمو تكون فيه الظروف الاقتصادية والاجتماعية مع الظروف البيئية لها اعتبارات متساوية ومتوازنة بعناية، وفى هذا الشأن فإن حماية البيئة والاستخدام المتوازن للموارد الطبيعية يجب أن يكونا جزءا متكاملا من عملية التنمية، لهذا فالإهتمام بمجالات تركز على نوعية وإدارة المياه ، نوعية الهواء ، إدارة الموارد الأرضية ، التصحر ، حماية البيئة البحرية ، إدارة المخلفات الصلبة، كل هذه قضايا مشتركة ذات أبعاد إقتصادية وعلاقة وثيقة بالبيئة، فعلى سبيل المثال نجد الطاقة والبيئة أساسيتان للتنمية المستدامة فنجد كثير من الناس يتأثرون بشكل متفاوت بتدهور البيئة، وافتقار الوصول إلى خدمات طاقة نظيفة ممكنة. وهذه القضايا لا يمكن تناولها من خلال عمل الدول بمفردها، لهذا يساعد برنامج الأمم المتحدة للبيئة الدول لتقوية قدراتها لتناول هذه التحديات على المستويات العالمية والقومية والمجتمعية بحثا عن المشاركة للوصول إلى أحسن الممارسات ، وتوفير النصائح للناس لتدعوهم إلى بناء حياة أفضل، بالإضافة إلى أن الإدارة السليمة للمشروعات والموارد سوف يساعد على التحسين المستمر لحماية البيئة وهى تعتبر من الأمور الضرورية، وعلى ذلك يكون تشجيع استخدام التكنولوجيات والممارسات الصالحة بيئيا مع التركيز على تنمية المناطق الفقيرة يعنبر بعدا هاما فى التنمية المستدامة.

لقد أقرت مصر مفهوم التنمية المستدامة كإطار لعملها الأساسى نحو النمو الاقتصادى وتنمية المجتمع بمفهوم التنمية المستدامة، كنموذج جديد، يحكم جميع الخطط الاستراتيجية التى صاغتها وجارى تنفيذها سواء على المستوى القومى أو العربى أو الأفريقى أو العالمى بحيث تترجم هذه

الخطة اهتمامات مصر فى تحقيق الأهداف المنصوص عليها للتنمية المستدامة. إن المنهج التشاركى التشاورى الذى استخدم فى صياغة الخطة والموافقة الجماعية قد أظهر التزام الحكومة المصرية تجاه تبنى نماذج لعمليات ديمقراطية فى اتخاذ القرار وتأسيس الشراكة بين القطاعات العامة والخاصة والتى فى النهاية تستخدم كوسائل لتحقيق التنمية المستدامة، وفى ضوء رؤية مصر 2017 حيث تم إضافة بعد جديد لتعريف مفهوم التنمية ففى عام 1997 أسس الصندوق الاجتماعى للتنمية، ويتمثل دوره فى تمويل المشروعات الإجتماعية والبيئية بقروض ميسرة أو منح أو الإثنين معا، وبهدف مواجهة البطالة يسعى الصندوق الى خلق فرص العمل من خلال تمويل المشروعات الصغيرة وتزويدها بالتكنولوجيا والخبرة الفنية اللازمة. وتتعدد أنواع هذه المشروعات، إذ قد تتخذ شكل تقديم خدمات بيئية أو تصنيع معدات... الخ. كما تتعاون مصر مع وحدة القدرة 21 – ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائى لدعم المشروعات للتنمية على المستوى الدولي. تواجه التنمية المستدامة صعوبات كثيرة منها عدم الوعى المؤسسى وأيضا الفردى بأهمية التنمية المستدامة نتيجة التصرفات الخاطئة فى تطبيق البرامج والمشروعات القومية وأيضا نتيجة عدم وعى الأفراد بالسلوكيات الجيدة، بالإضافة أن هناك رسوم يجب دفعها كضرائب وغرامات على المخالفات يتجاهل الكثير عن آدائها ـ إنهم المنتفعون دون مساهمة أو مساعدة ـ والتى سيكون توظيفها لخدمة المجتمع، إن التنمية المستدامة عملا جماعيا إنه يتطلب دور الدولة ودور المؤسسات فى المجتمع المدنى وأيضا دور الأفراد لتكون نظاما تعاونيا يعتمد على التبادل الرشيد للرقى بالمجتمع.

الحرية وحب الوطن

الحكايات والقصص عبر التاريخ تعلمنا الحكمة، وأقصوصة اليوم تحكى " فى إحدى الحدائق الغناء بأشجارها المورقة وطيورها المغردة، كان رجلان يجلسان إلى جوار بعضهما البعض على أريكة جميلة مريحة، فتثاءب أحدهما وفتح ذراعيه جانبا فضرب بيده اليسرى أنف الرجل الآخر الذي يجلس إلى جواره، فغضب الرجل وقال: من فضلك انتبه، لقد ضربت أنفى بيدك. فرد الرجل متعجرفا بصوت صاخب أزعج الطيور وبعثرها بعيدا، وجعل أوراق الشجر تتساقط ذابلة: وماذا في الأمر؟ أنا حر. فرد عليه الرجل المضروب مغتاظا: نعم، أنت حر، ولكن "حرية يدك تنتهي حيث تبدأ حرية أنفى" إننا أمام نموذجين للسلوك الإنسانى، نموذج غير متحضر، نموذج له سلوك همجى تسيطر عليه القوة البدنية دون وعى، ودون تركيز ودون التفات أو اكتراث بالآخر.. إنه سلوك بدائى، أنانى، إنه سلوك الغابة تتحول الشخصيات الفوضوية إلى بدائيتها وروحها الانفعالية وتتمركز حول ذاتها فقط دون القدرة على الخروج من هذه الشرنقة، أما النموذج الثانى فهو نموذج عقلانى يحاول ان يدفع عن نفسه الظلم بأسلوب حضارى يعمل على توضيح مشكلاته مع الآخر لكي يفهم. هذه الأقصوصة تحمل فى طياتها مضمونا فلسفيا حضاريا، أن نحترم الآخر، نحترم الطيور، الطبيعة، تعلمنا هذه الأقصوصة كيف ننظر إلى رفاقنا فى الإنسانية، لأن الحرية حق لكل إنسان، وهي في نفس الوقت احترام للذات والآخر. الحرية ليست فعلا فوضويا، ولكنها مواجهة للفوضى. الحرية تتحول إلى فوضوية عندما لا نحترم الآخر، إنها تبعثر

الأشياء دون منطق أو تقدير للأمور. الحرية دفاع عن مبدأ، عن قيمة. الحرية ليست تحطيم القوانين والشرعية. الحرية ليست التمرد على الواقع، حتى يفقد الواقع ما لديه من إنجازات، بل هى المحافظة على ما لدينا لتطويره ونمائه. أن تكون حراً هو أن يكون لديك القدرة على الاختيار، القدرة على الابتكار والاكتشاف، وأن تكون حراً معناه أن يكون لديك حقوق وعليك واجبات، لذلك لابد من حالة وعي، حالة إدراك، حالة فهم لمعنى الحرية. الحرية هي إثارة الناس لكي تتخذ موقفا واعيا لبناء المجتمع، وليس موقفا هداما ضد المجتمع. الحرية هي القدرة على المشاركة من أجل حياة أفضل للناس. علينا أن نكون منتبهين بشدة ولا نسمح لأحد بخلق حالة تشويش داخل جدران الوطن. الحرية حقيقة، الحرية تحرك ناس وتدفعهم إلى تمزيق مساحات الخوف، ودفعهم إلي روح تنويرية، إن القيد الوحيد الذي يجب أن يوضع أمام حريتنا هو وازع من ضمير وإحساس داخلي بالعدالة، فبدونهما نصبح أسرى لأنانيتنا التي تدفعنا إلى التعدي على حرية الآخرين. الحرية حق لكل الناس وليست امتيازاً تمنحه جهة معينة. الحرية هدية الله لمخلوقاته. الحرية أن ننسى الكائن البيولوجي بداخلنا هذا الكائن الذي يجنح نحو الحرب والتوسع الجبري. الحرية هي كائن عقلي له قوة الفكر والإدراك والتنوير نحو التحضر واحترام الآخر والتسامح والسلام، إنها قوة الدفع للأمام.

لا يمكن فرض الحرية بالتجاوز لا بد من مساحة للرأي الآخر، لأن التجاوز يصنع الفوضى، والفوضى تدمر القدرة على أعمال العقل، ومن ثم تخلق جموع لا يمكن تمييزها للأشياء، وتصبح الصورة غير واضحة، ويفقد الفرد وتفقد الجماعة السيطرة على الفعل الصحيح. الحرية هي

التواصل مع الجمهور من أجل الشجاعة والقوة، والبناء نحو الأفضل، نحو أسلوب جديد ومختلف ينعش روح الفكر وروح التعاون وروح الخيال الخلاق المبدع. علينا ألا نسيء فهم الحرية، حتى لا يكون هناك تشتيت للقوة والأحلام، ونحن في هذه اللحظة يجب أن تتوحد القوى، والأحلام لرؤية مستقبلية مشرقة لهذا الوطن العزيز.

لقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من ديسمبر 1948 "الإعلان العالمى لحقوق الإنسان" الذى يضمن الحياه والحرية والأمن، وأن ينظر إليه فى أى مكان بإعتباره إنسانا أمام القانون، وحرية الحركة والتنقل، والحق فى أن تكون له جنسية، وحرية الفكر والضمير والإعتقاد، وحرية الإرتباطات والتجمعات السلمية، وحرية المشاركة فى إدارة مجتمعه"[1] وعلى هذا يصبح الحق فى حرية التعبير بعداً هاماً فى النهوض بإبداعات المجتمع نحو فهم الحقوق وأيضاً فهم الواجبات، إن حرية التعبير حق لأفراد المجتمع وفى الوجه الاخر يتم الإحتكام للحقوق إلى القانون حيث يوجد حدود واضحة تتحدد فى ضوء علاقات الاخرين مع بعضهم البعض وأيضاً بالصالح العام.

إن قضية التنمية من أهم العلاقات المترتبة على الشعور بالحرية فى المجتمع لذلك فإن المجتمع الحر هو الذي يستطيع أن يساهم ويشارك فى سباقه الحضارى، لهذا السبب فإن التنمية والتطور والرقى لا تحدث إلا إذا كانت تحت مظلة الحرية. إن الحرية لا تعنى الرؤية الشخصية التى تنطلق من نظرة ضيقة، متشبعة بالأهواء والأغراض الذاتية التى لا تحمل

[1] محمد الجوهرى: موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثانى، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 654.

بعداً موضوعياً للقضية المطروحة، علينا أن نتخلص من التراث الأحادى النظرة إلى قضايانا فهناك وجهات نظر مختلفة ومغايرة لطريقة رؤيتنا، ومن هنا علينا أن نتفهم وندرك وجهات النظر الأخرى كى نتعلم أن نلقى مزيدا من الظلال والضوء على ما نناقشه حتى تشع حقائق جديدة، وافتراضات متنوعة تكون قادرة على صياغة مفاهيم جديدة للموضوع.

فى ظل الثورة المعلوماتية، وعصر التعددية الثقافية لابد من فهم المعلومة، ومن التأكد من دقتها لأن عدم صحة المعلومة يعتبر خرقاً للقانون الأخلاقى وأيضاً للقانون العام وفى ذلك مساس بمصالح المجتمع. إن معنى الحرية يحمل فى جوهره مشروعاً أخلاقياً نحو صحوة الضمير الإنسانى، نحو إحترام الاخر، نحو قيم التقدم، ليس من جانب الإلزام القانونى وإنما من منظور الإلتزام الإجتماعى لدفع المجتمع للأمام بقوة الضمير الأخلاقي والذي يمثل الميزان الذهبي للكلمة والصورة والنغمة واللون والخط والضوء فى حياتنا الثقافية والفنية والسياسية، إنه الضمير المهنى للفرد والجماعة. إن معنى الحرية هو نزاهة الفكر والخلق وثقة النفس وراحة الضمير رغم كل التعقيدات والمتغيرات على عالمنا المعاصر، إن الحرية هى المناخ الصحى للنموذج التنموى نحو المستقبل. إن مصر تؤمن بأن مناخ الحرية طريق الإستقرار السياسى، وإحتضان كل التفاعلات الكثيرة والمتنافرة التى تتم داخل المجتمع فى نهر ينساب ويتدفق فى سهولة ويسر حاملا فيضان الخير للوطن.

والمشهد الوطنى اليوم نرى من خلاله صراعاً وجدلاً حول حرية التعبير وقانون العقوبات المتعلقة بالنشر والصحافة وإذا كان الرئيس مبارك

ينتصر دائماً لحرية التعبير فيشهد التاريخ أنه ألغى القانون رقم 93 لسنة 1995 وهو الذى أطلق حرية إصدار الصحف بمختلف توجهاتها إلى جوار الصحف القومية وهو الآن يلغى الحبس فى مادة الذمة المالية ومن هنا تأخذ الصحافة دوراً كبيراً فى حرية التعبير ليس للتجريح أو التشويه أو الرؤية الأحادية، ولكن على الشاطىء الآخر من الضرورى إستخدام هذه المساحة الكبيرة من الثقة والحرية لتكون دافعاً قوياً فى مسيرة الإصلاح وإعادة البناء والإرتقاء بهذا الوطن العزيز مصر.

أزمة... والنغمة الهادئة

أزمة موقف لا تعنى أزمة مجتمع، وأزمة مجتمع لا تعنى أزمة أمة، وأزمة أمة لا تعنى أزمة حضارة، نعم طريق الحياة ممتد، نواجه فيه كثيرا من الصعاب، ولكن علينا آلا نتوقف عن السير فى ركب التطور والتحديث، يقول المفكر د. زكى نجيب محمود فى كتابه "هذا العصر وثقافته" متأملا ومحللا طبيعة الشعب المصرى عبر الأزمان المختلفة " النغمة الهادئة هى نغمة المصرى فى حياته، إذا ما أطلقت له تلك الحياة على سجيتها، لم تعترض سبيلها حوائل وموانع، المصرى فى حياته العملية مطرد منتظم مهذب، ينساب إنسياب النيل فى مجراه...المصرى بان للحضارات صانع للثقافات، ولولا نغمة حياته المطمئنة الهادئة ما صنع ولا بنى، ولكنه إذا فاجأته فاجئة استدار لها وأزالها لكى يعود إلى هدوئه فيبنى ويصنع...وبقى المصريون كما كانوا من أول الدهر مصريين، يربطون الرباط الوثيق بين الأرض والسماء، بين الحياة وما بعد الحياة، ورفعوا لذلك رمزا ناطقا فى مسلاتهم وأبراجهم ومآذنهم، مسلات الهياكل وأبراج الكنائس ومآذن المساجد ارتفعت كلها لتشير إلى السماء وكأنها أصابع السبابة من الأيدى، انبسطت لتشهد أن لا إله إلا رب العالمين،" [1] إنها مصر، بلد الحضارة والعقيدة السمحة التى تنبع من جوهرها الحضارى.

[1] د. زكى نجيب محمود: هذا العصر وثقافته، دار الشروق، 1980، ص 145.

مصر أرض الكنانة، مصر السماحة، أزمة تحاول أن تنال منها بفعلها الفوضوي المخرب البعيد كل البعد عن العقل والخلق والدين، هذا الفعل يحاول أن يهز منارة السلام التى تسود على أرضها ـ أحداث منتجع دهب بسيناء ـ هذا الفعل الذي لا يحمل قيماً لتطور الحياة سواء للوطن أوالإنسانية، وإنما يحمل فيروسات الدمار، التي تحاول أن تؤجل الأحلام، وتشوه رؤى المستقبل، ولكن هل تتبعثر الأحلام ورؤى المستقبل؟ الإجابة: لا. هيهات، الأحلام ورؤى المستقبل تتوهج دائما لأننا نعيش في مصر الحياة، مصر النغمة الهادئه، ورؤى المستقبل تسير للأمام دوما لأننا نملك الإرادة.

إن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية، ومن منظور آخر يجب علينا في هذا الوطن العزيز أن نتيقظ لما يدور حولنا، حيث تحاك الأزمات حتى تنال من مصر، لأنها قلب الوطن العربي، ولأنها صاحبة تيارات إصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي في المنطقة، قد تكون هناك وجهات نظر مغايرة، إلا أنه لا يمكن تجاهل أو إغفال الروح الوثابة للإصلاح التى تدفع إلى التعمير والتحديث، بالإضافة إلى الدور الإقليمى الذى تلعبه مصر، إن هذه الأفعال تحاول أن تقلل من أهمية الدور المصرى، وبأنه غير قادر على القيام بواجبه على أكمل وجه نتيجة عدم الإستقرار، ولقد كانت وما زالت دعوة مصر لعقد مؤتمر دولى للإرهاب دعوة حقيقية لمواجهة هذا الشبح، بتكثيف التعاون بين الدول على المستوى العالمى، وبالتنظيم بين أبناء الشعب على المستوى القومى، ومن ثم علينا في هذه المرحلة، وأن يؤدي كل منا دوره بصدق العمل وأداء الواجبات كمواطنين مصريين كل في موقعة المدرسة، الشارع، مركز الشباب، الكنيسه،

الجامع، المؤسسات الحكومية، الجمعيات الأهلية، الجامعة من أجل تفاعل حقيقي لبناء وتحديث مصر الوطن الغالي لكل المصريين.

وإذا كان هناك موقفا عابرا يمثل صراعا طائفيا إلا أن الفطرة المصرية تلقائية، وبسيطة وسمحة فى تعاملاتها منذ الصغر وأتذكر على ذلك حينما عاد عمر ـ وهو فى ربيعه الخامس ـ من دار الحضانه، وهو فرح سعيد لأنه كون صداقة جديدة مع زميله لويس، حيث كان يجلس كل منهما إلى جوار الآخر فى الفصل، يصنعان ويبتكران أشكالا جميلة من المكعبات، وأيضا يلعبان سويا الكره، ويتبادلا قطع الحلوى، وأخذ كل منهما تليفون الآخر، وكل حكايات عمر عن لويس وقدرته المميزة فى العمليات الحسابية، بينما كان عمر يفتخر بقدرته وسرعته فى ألعاب الكومبيوتر، وحينما كان لويس مريضا، وتغيب عن دار الحضانه، حزن عمر لذلك ولم يكف عمر عن الحديث إلى لويس عما دار فى الحضانه تفصيلا، وتمتد العلاقة فى المرحلة الإبتدائية، والإعدادية والتعاون والأخوه، والحب يجمع بين عمر ولويس، حتى عندما فرقت المرحلة الثانوية بين عمر ولويس حيث كل منهما فى مدرسة، لم ينقطع رنين التليفون بينهما والأحاديث التى تكن كل الإحترام والحب والنصح الطيب لتساؤلات كل منهما، وفى إحدى المرات وأنا أرد على التليفون وأقول : مين حضرتك؟ وإذا بالرد يقول بشكل عفوى: لويس. أقول فى نفسى لويس، نعم هذا صديق عمر، نعم، ولكن هذه الكلمة كان لها وقع آخر، لقد حركت ذكريات عطرة لدى، إنه موقف الأستاذ والصحفى الكبير لويس جريس ـ صاحب الخلق الرفيع والعقل المتفتح للجديد ـ نشر لى أول مقال ـ وأنا لا أعرفه ـ حينما كان رئيسا لتحرير مجلة " صباح الخير " منذ عشرين

عاما ـ عندما كنت معيدا بأكاديمية الفنون ـ تحت عنوان " العقل المستنير يا خالد " [1] حيث كانت رؤية الطبيب الشاب خالد منتصر رؤية قاتمة فالشباب على المعاش وكل أحلامهم مؤجله، ولا أمل، وكان الرد الذى تحمس له الأستاذ لويس جريس " ما هذه الرؤية القاتمة وأنت فى فجر الحياة، وما هذا التعميم والتسطيح الذى أطلقته على كل جيلك بأن أحلامه مؤجلة.. وبأن عالمه لن يحقق إليه شيئا... وأن غده سراب.. وقلق وضياع.. وما هذه السلبية التى تتكاثر من كل ثنايا كلامك.. وكأن القاعدة أن يجلس الشباب على قارعة الطريق ينتظر آماله وأحلامه. أيها الطبيب أختلف معك، لقد صادرت عقل وإرادة هذا الجيل. إن كل ما ذكرته إنما هو نتاج حملات إعلامية جوفاء، حول الشباب، ولكن هيهات.. فإذا كان هناك فئة من الشباب المنحرف ظاهرة على السطح، إلا أن هناك شبابا كثيرا جديرا بالإحترام والتقدير فى جميع المجالات، ولكنه لم ينل هذه الضجة التى تصنع لتلك الفئة، لذلك يجب على الإعلام أن يخصص مساحة بارزة لشبابنا الناجح حتى يكون قدوة حقيقية فعالة في واقعنا، وهذا الواقع، لن يأتي إلا:

* بعقل مستنير، عقل يستوعب أولا معطيات واقعه.. ويدرك حدود امكانياته، ثم يحدد أهدافه، ويسير فى تحقيقها مؤمنا بها أشد الإيمان، وقادر على اقناع الآخرين بما لديه، فنحن نرى ما نملك القوة لرؤياه وأننا كبار بقدر عقولنا.

* وارادة فولاذية تستطيع أن تجعل هذه الاحلام واقعا معاشا، إن الإرادة هى التى سوف تحرك الأفكار الساكنه إلى قوة متحركة.. قوة إيجابية منتجة، إن هذه الإرادة كامنة فى داخلنا وليست خارجنا."

[1] محمد أبو الخير، مقال " العقل المستنير يا خالد"، مجلة صباح الخير، العدد 1566، الخميس 9 يناير 1986.

نعم بعقل مستنير علينا أن نواجه الأزمة التى نمر بها، من تحليل لتلك الظاهرة، ورصد ونهج علمى فى خطوات الحل على المدى القريب وعلى المدى البعيد، وفى تطوير آليات العمل بروح عصرية غير تقليدية، حتى لا تتكرر هذه الأزمات.

وبإرادة فولاذية سيكون عمر ولويس الصغير، ولويس الكبير، وخالد ومحمد رغم اختلافهم فى الآراء والمواهب، وحبهم بعضهم البعض، يعملون تحت علم واحد، ومن أجل وطن واحد، بروح المواطنة المخلصة التي تريد لوطننا الغالي الخير والتقدم والتطور لكي يصبح الأفضل بين الأمم، لأن الإزدهار هو الجدير بمصر. إننا جميعا يدا واحده فى مسيرة العمل الوطنى من أجل تحقيق حلم المصريين فى التنمية ورخاء المجتمع، يجب أن نحافظ على استقرار هذا البلد الذي نحيا على أرضه، يجب أن نحافظ على النسيج الوطنى لهذا الشعب مهما كانت الشدائد والأزمات، يجب أن نقف صفا واحدا لأي محاولة للنيل من إستقرار هذا البلد العزيز، يجب أن نقف بقوة ضد الأفعال التى تشوه الواقع وتفسده وتخربه، وضد الأفكار الهدامة التى تقف حجر عثرة للمستقبل، كل ذلك بنغمة هادئه، نغمة مصر الحكيمة والسمحة والمنيرة.

التنمية والمتميزون

إن التنمية االبشرية والمادية والإدارية من العوامل المهمة فى طريق تغيير المجتمع، من مجتمع تقليدى إلى مجتمع مبتكر، ومن ثم يرتقي بالمجتمع إلى مرحلة التحسين الشامل لكل الأوضاع على نطاق واسع، لأن ذلك سوف يحرك الكثير من الناس سواء كانوا من العاملين بالجهاز الإدارى أو من الجمهور العام للتخلص من جمود الروتين إلى رحابة التفكير المبدع، وهذا سوف يزيد الوعى بالدور المجتمعى، وكذلك الدفع للقيام بأنشطة ومشروعات تنموية تساهم في الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصادية والبشرية.

ومن هنا تدرك مصر أهمية التنمية كعنصر جوهرى فى تطوير وتحديث المجتمع، لذلك كان هناك إحتفالا بدار الأوبرا فى 25 يونيو 2006 بتكريم 51 قياديا من المتميزين بالجهاز الإداري للدولة بحضور وزير الدولة للتنمية الإدارية، إنه الإيمان بضرورة الإدارة الحديثة، وجودة الآداء وتشجيع الإبتكار والإبداع، ليس فقط من أجل مواكبة متغيرات العصر التى تدفعنا إلى السير إلى جوار الآخرين، ولكن إلى التقدم والمنافسة لكى نكون فى المقدمة من أجل المنافسة مع هذه المتغيرات المتميزة، المنافسة من أجل مزيد من التميز، إنها روح عصر المعرفة، عصر التطورات العالمية فائقة السرعة، عصر المتميزين.

ومن هنا قامت وزارة الدولة للتنمية الإدارية بعمل ثلاث مسابقات وهي: "أفضل منفذ يقدم خدمة للجمهور" ومسابقة "أفضل موقع حكومي يقدم خدمة من خلال الإنترنت" ومسابقة "المديرون المتميزون" و هدف هذه المسابقات خلق ميدان للتنافس بين الجهات الحكومية، وكذلك القائمين على آداء الأعمال من أجل تطوير منظومة العمل من خلال قوة دفع حقيقية فى بنيان المجتمع. تحية لهذه المسابقات التى خرجت من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ، من مجال الحلم إلى مجال الحقيقة، ومن الكلمة البراقة إلى واقع الفعل العملى، لقد حركت الساكن فى محيط الجهاز الإدارى من أجل صنع تنمية فاعلة، لأن التنمية الإدارية ركن هام فى تطوير الآداء والمفاهيم فى مستويات العمل المختلفة، إن تطوير المجتمع ليس أزمة مال أو أزمة عناصر بشرية أو أزمة موارد طبيعية وإنما هى أزمة إدارة، إدارة هذه المعطيات، أزمة فكر قوى واعى قادر على الإستفادة مما يملك من موارد وطاقات وإستخدامها الإستخدام العلمى المنظم فى المكان والوقت المناسب للصالح التنموى للمجتمع، إنها الإدارة المتميزة التى تسعى للوصول إلى المستوى العالمى فى المنافسة، تجارب كثيرة من حولنا تقدمت وكان أحد عناصرها التنمية الإدارية ها هى اليابان، تايوان، سنغافورة، ماليزيا، دبى وغيرها من الدول صنعت لنفسها الصدارة بفضل الإدارة، ومصر تعمل بخطوات جادة واضحة نحو الإدارة الرشيدة وهى نتاج معادلة أحد طرفيها جهاز إدارى كفء والآخر مشاركة مجتمعية واعية...لأنه من الضرورى السعى لتطوير جهاز إدارى كفء وفعال ...وفى الوقت نفسه يجب التركيز على ثروتنا البشرية من العاملين بإرساء جذور فكر جديد متطور يسعى إلى تشجيع الابداع والإبتكار، وإتقان العمل، وإظهار القدوة

الحسنة كقيمة نموذجية فى مسيرة العمل، وتقديم الخدمة وليس ممارسة السلطة...كل ذلك من أجل المواطنين.

ثلاثة أبعاد مشرقة لهذه المسابقات: البعد الأول: إن استمرار المسابقة وتطويرها ومحاولة الوصول بها إلى مستوى الجودة العالمية سوف يخلق روح المنافسة والإبتكار بين القطاعات المختلفة والعاملين فى هذه القطاعات لكي يصلوا إلى مرحلة التميز من خلال أعمال مبتكرة لها إنجازات متميزة فى تحسين الخدمة للمواطن، وعلى ذلك تكون الفائدة عامة ونافعة للجميع. البعد الثاني: بنك المشروعات، وأعنى من الضروري تسجيل المشروعات المتميزة سواء من القطاعات أو من القادة المتميزين بشرح مبسط للفكرة والأهداف وآليات التنفيذ وتسجيلها فى كتيب، وأيضا نشرها على الإنترنت لكي يتم الاستفادة منها بأكبر فائدة فى المواقع الآخرى، نعم كل موقع لها سماته وإحتياجاته ولكن قد يكون هناك نقاط تماس متشابهه يمكن الإنتفاع بها، فليست المشروعات والأفكار الجادة للمسابقة فقط، وإنما لكي تنتشر الأفكار المستنيرة وتصبح كتلة منيرة بين الناس وفى الممارسة العملية على أرض الواقع. البعد الثالث: الكشف عن المواهب المتميزة من البشر التى تعتبر رصيد يجب المحافظة عليه وإستخدامه فى تطوير مسيرة الوطن لأنهم طاقات يمكنها صنع ديناميكية فى المجتمع والتى بدورها قادرة على صنع تحويل داخل بنيان المجتمع إلى الأفضل فالإنجاز بالبشر هو الثروة الحقيقية، الإنجاز بالبشر أهم عنصر فى التنمية وبخاصة أصحاب الرؤى ـ لأن الكثير عندهم آراء قليلون أصحاب رؤى ـ والرؤية تصنع فلسفة عمل تكون قادرة على صنع إسهام حضارى، إن الإنجاز بالبشر مفتاح نجاح للمستقبل.

وتظل التنمية الإدارية فى اليابان واحدة من التجارب الرائدة فى العالم فمن الممكن أن ننظر بعمق إلى التجربة اليابانية لنتعلم ونأخذ منها ما يصلح لنا فليست كل تجربة صالحة بالضرورة بكل مفرداتها لأى بلد، إنما نأخذ من تلك التجارب ما يناسب ظروفنا ويلائم واقعنا، يمكن للنموذج اليابانى فى الإدارة ان يلقى مزيد من الضوء على مبادىء إدارية جادة مثل ترسيخ مبادىء الولاء والإنتماء، أسلوب أتخاذ القرارات، فلسفة عمل الجماعة، أهمية قاعدة البيانات، التدقيق فى أختيار نوعية العاملين، زيادة الإهتمام بأعمال البحث و التطوير، ولعل من العناصر الهامة فى الإدارة اليابانية أسلوب صنع القرار، فإن عملية صنع القرار عملية ديمقراطية تعاونية تقوم على أساس الإتفاق الجماعى فى الرأى وتستند إلى وجود شبكة معلومات جيدة وعلاقة إنسانية متينة بين العاملين وهى تتجه من القاعدة إلى القمة لكى تستشعر بمدى أهمية ومصداقية وجدوى القرار الذى يهدف إلى الصالح العام، وهذا بعيدا عن نوع ونظام التوظف المستقر طويل المدى والذى أوجد أيضاً الثقة فى الشركة أو المؤسسة والإرتباط القوى بها ونمى احساساً مشتركاً بين الجميع جعل كل فرد يشعر بأن انجازات الإدارة هى جزء من إنجازاته هو شخصياً. كما تعمل الإدارة اليابانية على تأكيد قيم الإبتكار، والمرونة، والإستخدام الأمثل للعامل اليابانى، والتحسين والتطوير المستمر للمنتج، والقدرة على الإنفتاح على البيئة المحيطة بها والتعرف مقدماً على ما يريده المجتمع البشرى الذي تعمل فيه، ومحاولة التنبؤ بمشكلات الإنتاج وإبتكار أساليب التعامل معها. إن خصائص الإدارة اليابانية هدفها البقاء والإستمرار فى السوق، كما تعمل على تطوير العمل من خلال أساليب رقابية ضمنية

وضميرية، إن الإهتمام بالبحوث وتحسين الجودة فى صنع شراكة بين الجامعات والمعاهد البحثية وبين المؤسسات عنصر أساسى فى الإرتقاء بالعمل والمنتج، هذا بالإضافة إلى الإهتمام بالتسويق وتحليل متغيرات السوق المحلية والعالمية، إن المدير كقائد لفريق العمل وما يملكه من خبرات وكفاءة فى وضع الرؤى والخطط وإدارة مجموعة العمل واحد من العناصر الهامة فى التنمية الإدارية، المشاورات قبل اتخاذ القرار، إن عنصر التدريب محورى على جميع أعمال المؤسسة بعد البدء فى العمل، إن التأكيد على الجماعة ومرونة التطبيق فى السياسات تتم من القاعدة إلى القمة بعد مشاورات ومناقشات.

إن التنمية الإدارية طريق إنطلاق نحو التطوير والتحديث لكل مقومات المجتمع سواء فى الموارد الطبيعية والمادية والبشرية نحو خلق مجتمع يتسابق نحو الجودة والتميز ولن يصنع ذلك فى عالمنا إلا المتميزين.

قرية البسايسة تجربة رائدة

إن أردت أن تطور مجتمع ما عليك أن تصل إليه، لكى تفهمه، وتشاركه أحلامه، ومن ثم يمكن تحقيقها واقعيا، معادلة رياضية إجتماعية قادرة على الإنجاز فى محيط الواقع، فليس التطوير عملا سهلا وإنما هو صراع وكفاح مع الطبيعة ومع الناس من أجل الإرتقاء بمنظومة المجتمع كله، والتجربة التى أتحدث عنها هى تجربة فريدة إستطاعت أن تمثل نموذجا للحث الوطنى والدور التنموى لما يجب أن يكون عليه صاحب المعرفة ولما يجب أن تكون عليه المؤسسة الصغيرة، إنها تجربة قرية البسايسة ـ الذي بدأ نشاطه أوائل عام 1974 ـ تلك التجربة التى خلقت ممارسات تعليمية وتدريبية مبتكرة تلائم التوجه العام نحو التنمية المستدامة، سواء في قرية البسايسة نفسها أو في المجتمعات الريفية المحيطة بها. ويستند النجاح الذي حققته المشروعات المنفذة في البسايسة على الحوار المفتوح، والتعلم عن طريق المشاركة والتفاعل، وتيسير الحصول على المعلومات اللازمة، فضلاً عن المشاركة الفعالة للمجتمع والتزامه بتولي المسئولية الاجتماعية. وتعكس البرامج التعليمية والتدريبية اهتمامات الأهالي ومخاوفهم، وتقوم على تنمية الموارد البشرية ـ الحالية منها والمستقبلية – والبيئة المحيطة. وسوف تعتبر المبادرات التي تقوم بها الجمعيات الأهلية في قرية البسايسة بمثابة أمثلة يحتذي بها في كيفية إحداث التنمية البشرية، وإعمال أساليب الاستفادة من موارد الطاقة المتجددة، وتنفيذ المشروعات المدرة للدخل، والقيام بالأنشطة التعليمية والتدريبية بالمجتمعات التي تأثرت بالبطالة والفقر والأمية.

سؤال كان يلح دائما على صاحب التجربة وهو ما الدور الذي يمكن أن يلعبه المثقفون المتعلمون من أجل المشاركة بشكل نشط في تحقيق التنمية المتواصلة للمجتمع، أو بمعنى آخر هل بإمكان المثقفين، أو المتعلمين، أو الخبراء الفنيين، أو المفكرين ... إلخ – أن يشاركوا في عملية التنمية المستدامة للمجتمع، وأن يلعبوا دوراً نشطاً في تلك العملية؟ فإذا كانت الإجابة بنعم، يكون السؤال التالي هو كيف؟ فمن الواضح أن ذلك لن يتحقق سوى بتحديد أهداف واضحة، ووضع خطط فعالة، والالتزام بتنفيذها مع مشاركة حقيقية وفعالة من كل أفراد المجتمع.

ولأن صاحب التجربة أستاذا جامعيا[1] يدرك معنى التخطيط الذي ينطلق من التقويم والتقييم البيئى للمشروع فقد قرر القراءة والدراسة للتجارب المماثلة على المستوى المحلى والدولى فقد إتضح له أن الأماكن التي كانت تصنف على أنها "قرى تابعة" تمثل أكثر الشرائح الاقتصادية الاجتماعية للسكان انخفاضاً داخل الشكل الهرمي الاقتصادي الاجتماعي بمصر. وحيث أنه قضى جميع سنوات طفولته، والسنوات الأولى لشبابه، في مدينة الزقازيق، عاصمة محافظة الشرقية، فقد بدأ جهود البحث عن طريق انتقاء قرية تابعة تكون على مقربة من مسقط رأسه ـ فى كثير من الأحيان نذهب للبحث عن الكنز خارج أنفسنا وخارج أوطاننا والكنز فى داخلنا وفى أوطاننا ـ وبعد أسبوع كامل من التفكير، تلتها أيام من البحث الميداني، اختار صاحب التجربة قرية البسايسة، وهي قرية تابعة صغيرة تتوسط عدداً من القرى الصغيرة يصل إجمالي عدد السكان فيها إلى قرابة

[1] حديث شخصي مع د. صلاح عرفة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، فبراير 2006.

25 ألف نسمة. والبسايسة، شأنها في ذلك شأن حوالي 30 ألف قرية تابعة أخرى بمصر، هي عبارة عن مجتمع ريفي صغير. ويبلغ تعداد سكان قرية البسايسة نفسها 320 نسمة، يعيشون في 45 بيتاً، ويمثلون 62 أسرة. وتقوم الحياة في القرية على الزراعة وتنتظم تبعاً لدورتها. ويشارك جميع الرجال والنساء والأطفال في إنتاج المحاصيل الزراعية ومخلفاتها وتصنيعها، وهو ما يشكل مورد الرزق الرئيسي لهم. وتقع القرية في قلب دلتا النيل، على مسافة 100 كيلومتر شمال شرقي القاهرة، و15 كيلومتراً شمال غربي الزقازيق. وتنقسم الأراضي الزراعية في البسايسة إلى حوالي 80 فداناً، يقوم سكان القرية على زراعتها بالكامل.

وقد تم اختيار البسايسة لتكون مركزاً لأغلب الأنشطة، على أساس أنه يمكن بسهولة انتشار الإنجازات الناجحة التي تتحقق هناك إلى المجتمعات الأخرى المجاورة لقرية البسايسة وإلى غيرها من الأماكن. وكان الهدف الرئيسي من وراء العمل في البسايسة هو تعليم السكان وتدريبهم بغرض رفع وعيهم بالبيئة التي يعيشون فيها، وبإمكانياتهم الخاصة، ورعاية ودعم مشاركتهم التعاونية والفعالة، على نحو ديمقراطي حر، وفي إطار عملية متواصلة تستهدف تنمية المجتمع، لأن صاحب التجربة على قناعة أن المواطن المتعلم الواعي والمدرب فنياً، والذي يعيش في بيئة صحية وديمقراطية، هو المطلب الرئيسي للتنمية المستدامة للمجتمع. لذا، فأن تحقيق هذا الهدف طالما تربع على رأس قائمة أولوياته فى إطار الدور القيادي الذي يقوم به في الجامعة، وفي الجمعيات الأهلية، وداخل المجتمع.

وكانت أهم الإنجازات التي تحققت في تجربة البسايسة هي إقامة حوار مفتوح، تكون فيه للمواطنين أصواتا مسموعة، فيستطيعون التعبير عن آرائهم بحرية، وأن توضع هذه الآراء موضع الاهتمام، وحيث يتم تقديم أفكار جديدة أو تطويرها، وحيث يتم إعادة النظر في التقنيات القديمة والأفكار المتأصلة السائدة وفحصها. بيد أن الحوار لم يكن ينته في معظم الحالات باتخاذ قرار، ولكنه استمر على نحو غير رسمي في معظم الأحيان ولفترة زمنية طويلة، قبل تبلوره إلى شكل محدد جاهز للعمل والتطبيق.

لقد ساعدت الزيارات الأسبوعية التي كان يقوم بها الفريق القائم على المشروع على استمرار تلك العملية، وتم النظر في جميع الإسهامات، على أن يكون هناك التزام تام باتباع قواعد ومداخل ثلاث فى منهج العمل:

- كان دورالأفراد من خارج ذلك المجتمع، هو مساعدة أفراده علي التعلم، والتدريب، والتوجيه، ودعمهم فكريا وماليا، وتعزيز المبادرات التي تأتي من مستوى القاعدة الشعبية، على ألا يتم أي من ذلك بدون المشاركة الفعالة لأفراد المجتمع.
- استندت الأنشطة في الموقع إلى العناصر التي حددها سكان القرية على أنها حاجات، وتم تنفيذها بطريقة عملية تقوم على المساعدة الذاتية.
- التعرف على القيادات المحلية المتعلمة، وتدريب تلك القيادات، وتقديم الدعم لها من داخل المجتمع نفسه.

فالتنمية المتواصلة للمجتمع لابد وأن تتأصل داخل كل فرد، وأن تصير جزءاً من تفكيره، وأن توجه بالتالي سلوكه اليومي. وهنا تبرز أهمية التعليم والتدريب المستمر كمطلب رئيسي لتحقيق تلك العملية. لقد اهتم المشروع في الأساس باستكشاف إمكانية استخدام موارد الطاقة الطبيعية والمتجددة بالطرق الملائمة للوفاء بحاجات القرى في إطار عملية التنمية المتواصلة للمجتمع. وقد صمم بحيث يكون بمثابة دراسة ميدانية بحثية عملية متكاملة بحثت سبل ربط التطورات العلمية والمعارف على نحو ذي مغزى، يراعي اهتمامات تنمية المجتمع في القطاع الريفي. وكان الهدف الرئيسي للبرنامج هو تطوير الممارسات التدريبية والتعليمية بالقرية، وبغيرها من المجتمعات الريفية المحيطة، وربط تلك الغاية بالأهداف الأوسع نطاقاً، والمتمثلة في التنمية الطبيعية والبشرية المتواصلة. ويبين المشروع أنه يمكن للتنمية الحقيقية أن تتحقق على أفضل نحو ممكن من خلال المعارف التعاونية بالعلوم الطبيعية والاجتماعية، عندما تتأصل في الاهتمام بكيفية جعل هذه المعارف تخدم التجمعات البشرية وتفيدها. وعلى الرغم من أن أنشطة المشروع تتركز في قرية البسايسة وهي القرية الصغيرة، فإن الوعي باستخدام الطاقة الشمسية، والنهج المتكامل لتعليم وتدريب الكبار من أجل تحقيق التنمية المتواصلة للمجتمع، قد انتشر في منطقة البسايسة، وأيضا انتشرعلى المستويين الوطني والدولي. إن تجربة قرية البسايسة صنعت تطورا لعديد من القضايا البيئية والوعي بها فى مناهج تعليم وتدريب الكبار. أمثلة: إدراج قضية الطاقات المتجددة وحماية البيئة إلى مناهج تدريس اللغة الإنجليزية؛ محو الأمية من خلال التدريب على الخياطة والحياكة؛ إنشاء مكتبة بالقرية وتغذيتها بكتب *اصنع بنفسك* وأخرى حول المهارات الفنية؛

توفير الكتب الجيدة كي يقرأها المتعلمون، مع تسجيلها على أشرطة كي يسمعها الأميون؛ التعريف بفائدة الطاقة الشمسية كمصدر للدخل؛ الارتقاء بتكنولوجيا الغاز الإحيائي؛ توفير أنظمة التدريب بأجهزة تليفزيون وفيديو تدار بالطاقة الشمسية، هذا بالإضافة إلى مساندة مجموعات المتعلمين وتشجيعهم على المشاركة في توعية، وتعليم، وتدريب المجموعات الأخرى داخل المجتمع. أمثلة: توفير الدراجات بنظام الائتمان لأطفال المدارس والعاملين، لتقليل الوقت الذي يضيع في الانتقالات، والاستفادة من بعض ذلك الفاقد الزمني الذي تم توفيره لحضور برامج تدريب وتعليم الكبار؛ والقروض الميسرة لبرامج التنمية المهنية المتخصصة من أجل تدريب الآخرين، هذا إلى جوار مشروعات زراعية وصناعية متميزة فى مجالات الزيتون والتوابل الزيوت، إنها بحق تجربة منيرة فى محيط حياتنا فتحية إلى الأستاذ الدكتور صلاح عرفة الأستاذ بالجامعة الأمريكية، هذا الرجل المرموق وعضو مكتبة الإسكندرية، ورئيس جمعية الهجرة الداخلية والتنمية، إنه نموذج مشرف لهذا الوطن.

نعيش فى غرفة واحدة

إننا نعيش في غرفة واحدة، نؤثر ونتأثر داخل جدران هذه الحجرة بكل ما فيها، أعنى نحن نعيش فى عالم واحد، ومن ثم فالبيئة المكونة لهذا العالم من هواء وماء وتربة وكل ما يحيط بنا له تأثير كبير على أسلوب حياتنا، وعندما نتحدث ونركز على قضايا البيئة هذا يشير بأننا نتحدث عن مستقبل الوطن والعالم، ضماناً لبيئة صحية وسليمة. فالاهتمام بموضوعات البيئة وحمايتها من التلوث، والتركيز عليها كعنصر مؤثر على الإنسان، لم يعد رفاهية للفرد أو مرتبط بتقدم الدول وثرائها، بل إنه حق إنساني أساسي يتعين توفيره لكل مواطن فى المجتمع، حتى يتسنى تحقيق التنمية المتواصلة للأجيال الحالية والقادمة.

والإنسان فى حياتنا المعاصرة أصاب البيئة التى يحيا فيها بكثير من التلوث والذى يعنى إحداث تغير فى البيئة التى تحيط بالكائنات الحية بفعل الإنسان وأنشطته اليومية مما يؤدى إلى ظهور بعض المواد التى لا تتلائم مع المكان الذى يعيش فيه الكائن الحى، ومن ثم يؤدى إلى اختلال عناصر البيئة المحيطة، إذن التلوث صورة من صور الإفساد والضرر، فالإنسان هنا ظالماً لنفسه ولبيئته، وأصبح جانياً ومجنياً عليه فى آن واحد، لأنه لا يحافظ على بيئته وهو فى نفس الوقت يتأثر سلبا نتيجة ذلك، ومن أهم المشكلات البيئية التي تواجهنا في السنوات الأخيرة التلوث الهوائي والبصري والتلوث الضوضائي والإشعاعي، ومن أخطر أنواع التلوث هو تلوث الماء، فالماء مصدر من مصادر الحياة على سطح الأرض،

وينبغي صيانته والحفاظ عليه، حيث " لا يمكن لأي كائن حي أن يعيش بدون الماء، فالكائنات الحية تحتاج إليه لكي تعيش، ويشكل الماء حوالى 65 % من وزن الإنسان، كما يشكل 70% من مساحة اليابسة على سطح الأرض، مما دفع بعض العلماء إلى أن يطلقوا على الكرة الأرضية اسم " الكرة المائية " [1]

إن مصر تؤمن بأن الحفاظ على البيئة تعنى التنمية المستدامة، وإقتناعها أيضا بأن الحفاظ على البيئة أصبح مطلبا ضروريا لحماية صحة الشعب وتمكينه من تحقيق الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية.

قضيتان جوهريتان يجب الإهتمام بهما ووضع أولوية لهما فى خطط العمل البيئى فى مصر، القضية الأولى الحفاظ على نهر النيل، نعم هناك قانون رقم 48 لسنة 1982 بشأن حماية نهر النيل والمجارى المائية من التلوث، ولكن من الضرورى استخدام مبدأ الشفافية والتعامل من خلال البيانات الدقيقة للتعامل مع العوامل المؤثرة على نهر النيل وكيفية وضع منهج علمى للتغلب على هذه المعوقات التى تهدد نهر النيل هذا النهر العظيم الذى يعتبر شريان الحياة، وأحد العناصر الأساسية لصنع الحضارة المصرية عبر التاريخ، ولا ننسى المقولة الشهيرة لليونانى هيرودوت " مصر هبة النيل " نهر النيل أطول أنهار الدنيا وطولة أكثر من ستة آلاف كيلو متر ويمر بتسع دول أفريقية ومنابعه فى بحيرة فيكتوريا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط، كان المصريون القدماء يحترمون نهر النيل ويحبونه لإنهم كانوا يشربون من مياهه ومنها يسقوا زرعهم لذلك قدسوه ورمزوا له باسم " الآله حابى " وكان هذا الإله على

[1] بيئتنا الجميلة، السلسلة الثقافية لطلائع مصر، وزارة الشباب، يونيو 2005، ص 30.

شكل إنسان ويحمل بين يديه القرابين والتى هى عبارة عن هدايا ـ زهور البردى واللوتس أطعمه من الطيور واللحوم والفاكهة ـ يقدمها المصريون للنيل عند الفيضان فتروى مياه النيل الأرض فيشرب الإنسان ويزرع الرض ويأكل الحيوانات والطيور ويعم الخير البلاد. " المورد الرئيسى للمياه فى مصر هو نهر النيل حيث يمثل حوالى 96% من الموارد المائية المتجددة ...، وحصة مصر منه نحو 55 مليار متر مكعب من المياه فى السنة"[1] ولكن نهر النيل يعانى من أخطار صرف المنشآت المختلفة التى تقع على جانبى النهر أو الصرف غير المباشر لبعض المنشآت التى تصرف على الترع والمصارف ولكن تصب فى النهاية فى نهر النيل، من الضرورى المحافظة على هذا النهر العظيم من خلال:

أولا: الرصد الدائم لنوعية مياه النهر والوقوف على أى متغيرات تطرأ على نوعية المياه على طول مجرى النهر

ثانيا: إقامة محطات أرضية على ضفاف النهر لاستقبال المخلفات السائلة وضخها فى شبكات بعيدة عن النهر

ثالثا: تفعيل دور التفتيش البيئى على المصانع التى تصرف على نهر النيل والعمل على معالجة مخلفات المواد لكي تكون سالمة وبعيدة عن النهر

أما القضية الثانية فهى المحافظة على هواء النطاق الحضرى للقاهرة الكبرى، لأن الحفاظ على نوعية الهواء ضرورة من الضروريات المطلقة فى حياة الإنسان، لأنه من المهم تنقية الهواء من الشوائب الغازية والصلبة الناتجة عن مصادر طبيعية او أنشطة بشرية لتحسين نوعية الهواء المستنشق، نعم كان هناك تغيرات خلال العقود الماضية أدت إلى تدهور

[1] تقرير حالة البيئة فى مصر، اصدار مايو 2005، وزارة الدولة لشئون البيئة، 2005، ص 24.

نوعية الهواء فى مختلف المناطق الحضرية والريفية مثل الزيادة السكانية والتى تؤدى إلى زيادة كبيرة فى استهلاك الموارد الطبيعية وتوليد المخلفات بأنواعها والتى يتم التخلص منها عن طريق الحرق المكشوف، إن أكوام القمامة قنابل ساكنة لأنها تحتوى على كمية كبيرة من الغازات القابلة للإشتعال نتيجة للتحليل العضوى للقمامة وقد يتطوع البعض إلى إشعال النار فى جزء من القمامة حرصا على صحة العامة فتمتد النيران إلى ما تحت الركام فتسبب الكثير من الحوادث هذا فضلا على تصاعد الأدخنة الخطيرة بسبب إحتراق البلاستيك والنايلون بالقمامة، والتى يتولد عنها غازات خطيرة مثل غازات حمض الهيدوكلوريك والمعادن الثقيلة مثل الزئبق والرصاص والزرنيخ والمركبات العضوية التى تسبب أمراضا خطيرة للإنسان والحيوان والنبات.

مشكلة أخرى تلوث الهواء وهى التوسع فى الصناعات الإنشائية ومواد البناء مثل مصانع الأسمنت والطوب والتى تتركز منها نسبة كبيرة فى جنوب القاهرة، ونتيجة زيادة عدد السكان زاد عدد السيارات مما زاد نسبة عادم السيارات، بالإضافة إلى زيادة عدد المصانع والمنشآت الصناعية بشكل عشوائى داخل المناطق السكنية، مما أدى إلى إنبعاث الملوثات والمواد الكيماوية وانتشارها فى الهواء، لذلك من المهم نقل الصناعات الملوثة للبيئة من داخل التجمعات السكانية إلى المناطق الصناعية المتخصصة فى المدن الجديدة وغيرها واستخدام الغاز الطبيعى بدلا من المازوت والسولار والبنزين بالإضافة إلى الحد من التلوث الصناعى وذلك بتوفيق الأوضاع للمصانع والشركات واستخدام تكنولوجيا نظيفة غير ملوثة للبيئة، والسيطرة على ملوثات النقل من عواد المركبات

وكذلك ملوثات توليد الطاقة علاوة على زيادة المسطحات الخضراء وزراعة الغابات الخشبية بإستخدام مياه الصرف الصحى المعالجة.

نعرف أن هناك جهودا كبيرة فى مجال التخطيط البيئى وعلى رأس هذه الخطط الخطة الوطنية للعمل البيئي 2002-2017 بوزارة الدولة لشئون البيئة، وأيضا الخطط والبرامج والمشروعات التنفيذية لتفعيل العمل البيئى للخطة الخمسية للدولة 2002- 2007 برؤى مستقبلية واضحة البرامج والمنهج، ولكن علينا ان نبذل قصارى جهدنا أفرادا ومؤسسات من أجل المحافظة على بيئتنا والحد من التلوث لها فى ظل تحديات كثيرة ومتعددة لكى نحافظ على سلامة حياتنا. إن الحفاظ على البيئة لا يمكن أن يتحقق إلى من خلال سلوكيات المجتمع التى يجب أن نبدأ فى غرسها فى أنفسنا وكل من نتعامل معهمٍ، ليس فقط من خلال النصح أو الإرشاد ولكن من خلال القراءة والتعلم والتدريب، لندرك أنه بحمايتنا للبيئة فإننا نحمى أنفسنا من أخطار التلوث بما يؤكد مفهوم المشاركة لحماية البيئة، وتعتبر تجربة "الركن الأخضر" التي بدأت في إطار مهرجان القراءة للجميع - من خلال الكتب العلمية والندوات والمسابقات وتكثيف النشرات والأفلام التسجيلية - مبادرة أثبتت نجاحها وأثمرت نتائج ملموسة فى المحافظة على البيئة. ومن وهنا يأتى دور ضرورة غرس العادات البيئية السليمة للتوعية بقضايا البيئية سواء فى البيت والمدرسة ومركز الشباب والجامعة والمكتبات لزيادة الوعى البيئى. هيا نحافظ على كوكبنا، على وطننا، على مدينتنا، على الحجرة التى نعيش فيها.

اليوم المصرى للكتاب

مصر دائما سباقة في المشاركة مع المجتمع الدولى لكل ما هو حضارى، ويدفع بمسيرة الوطن نحو التحديث والتقدم، لأنه فى ظل ما يشهده مجتمعنا من تحولات فإن إنتاجنا الثقافى مدعو إلى ترسيخ القيم على إختلاف صورها، سواء كانت قيما فكرية تستهدف الكشف عن الحقيقة وتحصيل المعرفة، أو قيما جمالية تسمو بروح الإنسان، أو قيما إجتماعية تحقق التواصل المنشود بين الفرد والمجتمع، فلا شك أن هذه المنظومة من القيم الفكرية والجمالية والإجتماعية هى التى تصنع فى نهاية المطاف منجزات التقدم الإنساني، إنه الاحتفال باليوم العالمي لكتب الأطفال 2 أبريل من كل عام.

حقا إنه من الروافد المهمة فى تحقيق هذه المنظومة المعرفية الكتاب والمجلة ومطبوعات الأطفال التي يجب أن تكون على مستوى تحديات العصر والمتغيرات العالمية ـ الثقافية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية ـ فعصر اليوم مختلف عما قبلة من العصور، ومن هنا يجب النهوض بكتاب الطفل شكلا ومضمونا حتى يرقى إلى المستوى العالمى، ويلحق الطفل المصرى برفاقه من أطفال العالم وهو قادر على مواجهة التحديات، وقادر على الإبتكار فى عالم يتوجه نحو الجودة والتميز.

نعم، إن كتاب الطفل هو بوابة العبور إلى عقل ووجدان الطفل، ومن ثم الإهتمام بالإخراج الفنى من ورق وألوان وأشكال وتصميم، وكذلك

منظومة القيم المطروحة فى هذا الإطار ومواكبتها للتطورات العالمية من علوم وأفكار تفرضها الثورة التكنولوجية من تعددية ثقافية، وأيضا وفى نفس الوقت المحافظة على هويتنا وقيمنا، كل هذه الأشياء تمتزج مع بعضها البعض لكي تبتكر كتابا عصريا لأطفال مصر المستقبل.

وعلى المستوى العام هناك إحتفال باليوم العالمي للكتاب ـ ومصر أيضا تشارك فى هذه التظاهرة المعرفة ـ لقد اختار اليونسكو عبر مؤتمره العام الذي عقد في باريس عام 1995 والذي قرر بإجماع الدول الأعضاء, أن يكون " اليوم العالمي للكتاب وحقوق التأليف " في 23 ابريل من كل عام.

ومن عام 1996 والدول على اختلاف لغتها وثقافتها تقيم بهذه المناسبة كثير من الفعاليات والبرامج والأنشطة ومنها معارض الكتب التي تطوف العالم مثلا في فرانكفورت، بولونيا، تونس، القاهرة، بيروت، أبو ظبي، إنها محاولة لإرساء قاعدة ثقافية تعتمد القراءة سلوكا يوميا.

إحتفال عالمى لكتب الأطفال، وإحتفال عالمى للكتاب بشكل عام، ومن منطلق أن مصر دائما حريصة على المعرفة، وتسعى للنهوض بأبنائها يمكن إقتراح

" اليوم المصرى للكتاب "

ويمكن أن يكون هذا اليوم لمناسبة جليلة فى مسيرة الحياة الثقافية المصرية، ـ وما أكثرها من مناسبات مشرقة فى حياتنا الثقافية ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر: تاريخ إنشاء أول مكتبة للأطفال، تاريخ إنشاء

أول مكتبة عامة فى مصر، تاريخ مولد أحد الأدباء (العقاد، كامل كيلاني، طه حسين، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ) أو تاريخ أول انطلاقة لمشروع ثقافي أضاف للتاريخ المصري لاستنارة أطفال مصر، والأسرة المصرية، نحو قيم العلم والمعرفة والخير والجمال وذلك من خلال القراءة والكتاب.

القراءة شعاع من نور نحو معرفة أنفسنا، ومعرفة الآخرين، ومعرفة الكون الذي نحيا فيه، إن الكتاب واحد من الركائز الأساسية للتعليم والتدريب، وهو فى نفس الوقت عنصر جوهري لاكتساب الثقافة والمعرفة، إن القراءة تعمل على بناء الإنسان بشكل إيجابى مع منظومة المجتمع عقليا وفكريا ووجدانيا، فالقراءة علامة على وعي الإنسان، وشاهد على ارتقاء المجتمعات وتقدم الأمم.

ونحن الآن فى مجتمع المعلومات، عصر المعرفة، تتنوع أساليب القراءة وتتسع لمجالات متعددة، فهناك الكومبيوتر والإنترنت وما بهما من ثورة معرفية حتى أصبحت القراءة الإلكترونية تلك الوسيلة الجديدة سريعة الإنتشار، وهناك عالم التليفزيون وما به من برامج محلية وعالمية، وهناك قراءة النوته الموسيقية وفتح آفاق للقراءة السمعية من مقطوعات موسيقية شرقية، وموسيقى كلاسيكية، وهناك قراءة بصرية للوحة التشكيلية وما بها من ألوان وظلال وخطوط، وكتل وعلاقات بين بعضها البعض، وهناك القراءة للطبيعة منظر البحر مع شروق الشمس بكل ألوان الطيف المتلالئة، وهناك القراءة تحت الميكروسكوب، ومشاهدة حياة الكائنات الدقيقة، وعلى العكس هناك القراءة عبر التليسكوبات العملاقة لقراءة صفحة السماء المرصعة بالنجوم والكواكب ووضعها فى خرائط

فلكية، وهناك أيضا قراءة للوجوه ومعرفة كيف نتحدث مع الآخر، متى نسأل، أين نتوقف عن الجدل، وكيف نبرهن عن قناعاتنا، وآشياء اخرى كثيرة، إن القراءة فى هذا المقام ليست فعل صوتيا عبر النطق بحسب ما تقتضيه الأنظمة اللغوية لأي لغة، وإنما هى هنا تعني الفهم، ومن ثم فإنها تمثل نشاطا معرفيا عقليا، يختلف ويتفاوت بحسب رؤية القاريء، تلك الرؤية التى تحلل ما تقرأ بل وتضيف جديدا لمعانى أخرى مبتكرة، ومن هنا تصنع القراءة شيئا جديدا فينا، فهى مولدة للمعاني وكاشفة للصور التي يتضمنها العالم فى مركب جديد له خصوصيته، ليس هو المقروء تماما، وليس هو القاريء بما هو عليه، وإنما هو مركب منهما معا .

إن القراءة المصحوبة بالتأمل والخيال والتدبر عملية بصرية، ومن ثم فالعين والبصر أصبحا مدخل الإنسان إلى العالم والكون ويعتبر أكثر من 80% من خبراتنا الحياتية نستقيها من خلال هذه العملية البصرية، ومن هنا تصبح الأشياء المرئية هي الجوهر والركيزة الأساسية للمكونات العقلية، والشيء بالشيء يذكر، لعل واحده من أعظم نظريات الإبصار فى تاريخ العلم، هى نظرية الحسن إبن الهيثم الذي صنع تحولا جذريا كبيرا ـ فى علم البصريات ـ حول أن العين لا ترى بذاتها، وإنما ترى العين من خلال الضوء.

إن القراءة تعمل على بناء الإنسان بشكل ايجابي مع منظومة المجتمع عقليا وفكريا ووجدانيا. إن القراءة طريق لنور العلم والدهشة والمعرفة والمتعة.. والسفر من خلال الخيال الخلاق إلى عالم رحب، يقول الأديب عباس محمود العقاد " القراءة تعطي أكثر من حياة واحدة في مدي عمر

الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق. فكرتك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك، ولكن عن طريق القراءة والكتابة، إذا لاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، أو أن الشعور يصبح شعورين، أو أن الخيال يصبح خياليين، كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات من الفكر في القوة والعمق والامتداد.

الآن أقول علينا نقرأ بالعين والعقل والقلب، فالقراءة طاقة محركة متجددة، وهي حالة نمو نحو النضج العقلي والروحي والأخلاقي والاجتماعي. إن القراءة حركة إلى الأمام؛ ندرك بها مسيرة الحياة، ومتغيرات العصر لننطلق للمستقبل، ويظل الكتاب رغم تعدد مصادر القراءة هو الدستور الأول للمعرفة. إن " اليوم المصرى للكتاب " لا ينفصل على التواجد العالمى وإنما هو يوم بهجة معرفية وأيضا هو تأكيد للمشاركة العالمية فى منظومة العالم المعرفي الإنساني.

مجالس الطيبين وخطاب جديد

في يوم كنت أجلس أمام التلفاز أقلب فى القنوات المحلية والفضائية، وفجأة وقفت الصورة على القناة الأولى، ولفت بصرى وسمعى صورة وصوت العالم الجليل د. على جمعة وهو يتحدث عن المراكز البحثية فى سيناء، وما يجب أن نقوم به من حالة تنموية تجاه هذه الأرض المصرية الغالية، وذلك فى برنامج " مجالس الطيبين "[1]، رنت كلمة سيناء فى قلبى وعقلى فتهللت لها نفسى مسرورة، وأخذت تداعيات كثيرة تجول بخلدى، سيناء أرض الفيروز، وعلى ثراها الطاهر كانت معارك السادس من أكتوبر المجيد (10 رمضان) عام 1973م حيث عبرت قواتنا المسلحه الباسله القناه وخط بارليف المنيع الحصين وحطمته، ورفعت رايات النصر وسطرت ملحمه خالده فى تاريخ العسكرية المصرية أدهشت العالم أجمع ببسالة الجندى المصرى وبراعة التخطيط الحربى.

سيناء كان القدماء يطلقون عليها " الأرض التى تحرسها الآلهه" فإننا نؤمن بأن سيناء هى الأرض المقدسة التى باركتها السماء ويحرسها الله من الأعداء، سيناء بها مشروع عملاق، " ترعة السلام " هذا الشريان النيلي الذي سوف يسمح بإقامة مجتمع زراعى وصناعى، ويراعى مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والبيئية.

[1] د. على جمعة: برنامج مجالس الطبية، القناة الأولى، التليفزيون المصرى، الجمعة 22 سبتمبر 2006.

مر ذلك فى ثوان قليلة، وقلت لنفسى: ماذا فى الأمر؟ برنامج دينى يتحدث عن تعمير الصحراء؟! ياللعجب! لا، بل يا لها من فرحة! لقد إعتادت البرامج فى أغلبها التطرق لموضوعات تعنى بفقه العبادات، تتحدث عن الوضوء وسنن الوضوء، وتعريف الصيام، وشروط الحج وحكم الإنابة فى الحج، وما يجب على الحاج فعله، وما يجب عليه تركه إلى غيرها من أحكام العبادات الهامة والضرورية، وأيضا تتطرق لآراء العلماء والمجتهدين فى إستنباط الأحكام من الكتاب والسنه المطهره، باختلافها وتنوعها بين التيسير والتشدد، وكل حسب سنده ودليله ـ وهم وإن إختلفت آراؤهم فى بعض الفروع إلا أن هذا الإختلاف رحمة للأمة ـ والفهم لفقه العبادات هام حيث يقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " ولكن أن يكون التركيز الأكبر، والشغل الشاغل لبرامجنا على هذا الجانب دون غيره، ونترك بعدا هاما لا يقل ضرورة وتعاظما فى منظومة تطور الحياة، ألا وهو فقه المعاملات، إن ذلك يحتاج منا إلى وقفة تأمل ومراجعه؛ لأن فقه المعاملات مكمل أيضا للعبادات وهما وجهان لعملة واحده، كيف نفهم دورنا فى الحياة، كيف نتعامل مع الآخر المسلم وغير المسلم؟ كيف تتكون الأسرة الناجحة؟ كيف نوظف العلم، هل هو للإعمار أم للدمار؟ وغيرها من الموضوعات التى تساهم فى تشكيل ثقافة " قيمة المعاملات لبناء المجتمع " ، فالأمم لم تتطور بالجدل والسفسطة، وإنما تطورت بالعلم والعمل والصدق والإخلاص، وتحضرنى هنا مقولة الإمام محمد عبده حينما زار فرنسا " رأيت الإسلام بلا مسلمين ". قال ذلك لأنه وجد قيم المعاملات من الإتقان والنظام والإخلاص والإحترام فى منظومة حياتهم، وتنطبق هذه المقولة أيضا على الهند وكوريا وسنغافورة وماليزيا والصين، المعاملات الحياتية

حققت النهضة المجتمعية، المعاملات يمكنها أن تخرج بشباب الأمة والمجتمع من خندق التعصب والتواكل والمنظور الضيق للأمور إلى رحابة الفكر والإعتماد على الذات، والإنفتاح على الثقافات الآخرى، بلا ذوبان أو طمس للهوية.

إن قضية الصحراء وتعميرها التى ناقشها البرنامج كانت على أجندة العالم فى مجال البيئة، حيث أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة " عام 2006 عاما للصحارى " إنها محاولة الخروج من التكدس العمرانى إلى الرحابة، ومن فقر الإمكانيات إلى الثروات الكامنة والمختبئة، إنها محاولة إكتشاف الكنوز الغير معروفة لإستخامها الإستخدام الأمثل والأنفع للفرد والمجتمع والإنسانية، قضية جادة ناقشها البرنامج مع الضيف د.حسن راتب واحد من جنود تعمير الصحراء وسيناء على الأخص، قضية يجب التوقف عندها ووضع الرؤى المستقبلية بنهج علمى لإيجاد الحلول لها، فالوطن العربى يقع بكل بلدانه فى قلب خريطة التصحر العالمية، ومصر تعيش فى مساحة 5% من أرضها حول وادى النيل، معنى ذلك أن هناك 95% من مساحتها صحراء، هذه الصحراء تحتاج إلى الرؤى الإستراتيجية لإنشاء مجتمعات عمرانية جديدة تكون مرتبطة بمصادر الثروة، بحيث توفر فرص عمل حقيقية تساعد على الإستقرار وتكوين مجتمعات متكاملة المنافع والمصالح بكل خدماتها من طرق وإسكان ومرافق الكهرباء والمياه والوحدات الصحية والمدارس وأسواق تجارية وغيرها من سبل المعيشة، لأن ذلك سيشجع الشباب على الهجرة الداخلية وإفادة وطنه بدلا من الهجرة الخارجية، كما يعتبر أحد الحلول الهامة للتغلب على مشكلتى البطالة والإسكان.

كشف البرنامج عديدا من العناصر فى هذا الموضوع بلغة حوار محترمة وحضارية بين د.على جمعه بأسلوبه الهادىء والشّيق والمستنير ود.حسن راتب بتدفقه وفهمه لطبيعة أرض سيناء، ونهجه العلمى فى فتح آفاق ومشروعات تعمر بها الصحراء، وخلق فرص عمل للشباب والأسر على أرض سيناء، من هذه العناصر وجود خيرات كثيرة فى سيناء، والأرض ممهدة لإقامة مزيد من المشروعات عليها لأنه لم يتم حتى الآن الإستفادة منها الفائدة المرجوة التى تتناسب مع إمكانياتها الغنية رغم وجود شريان المياه والحياة بها " ترعة السلام " وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا لا يجد الشباب فرصة للعمل فى سيناء؟ ربما تكون الإجابة فى العناصر الأخرى التى أوضحها النقاش والتي نحتاجها وهي:

1- تظل كثير من الأرض والتى يمكن إستصلاحها غير مخصّصة للشباب
2- ضرورة التوسع فى عمل وحدات سكنية صحية بإمكانيات بسيطة تتناسب مع قدرات الشباب حتى يذهب للصحراء
3- يمكن عمل دراسة جدوى لمشروعات صناعات صغيرة إلى جوار المشروعات الزراعية
4- إقامة مراكز بحثية لدراسات الأعشاب الطبيعية ـ وهي أكثر من 3 آلاف نوع ـ التى تتمتع بها سيناء، والأعشاب أحد العلوم المستقبلية
5- تفعيل دور المجتمع المدنى فى إعمار الصحراء

6- سرعة وضرورة التعاون والتنسيق بين متخذى القرار فى المؤسسات المختلفة لتعمير سيناء حتى تكون النتائج سريعة وإيجابية لهذه المنطقة الحيوية.

إنها تحّديات كثيرة تواجهنا ولكن بالعمل الجاد والتخطيط العلمى يمكن أن نحقق هذا المشروع القومى لتعمير سيناء. لم يكن مضمون البرنامج فقط هو الذي لفت انتباهي، ولكن تكاملت معه لغة الشكل من حيث إضافة البعد الجمالى للصورة المرئية، بمعنى أن الرؤية التشكيلية فى الصورة لدى المشاهد من تصميم الديكور، وقطع الإكسسوار الموجودة فى المنظر مع ألوان الأرضية، وعمق الخلفية أضفى بعدا جماليا ومعاصرا ـ فى نفس الوقت ـ للصورة عبر الشاشة، وكذلك توزيعات الإضاءة التى إنسجمت فى رسم لوحة من الحداثة والوقار داخل فضاء مكان التصوير، وذلك لتوضيح معالم الصورة للمتحدثين. هذا ساعد على خلق صورة جمالية رقيقة كونت حالة من الراحة النفسية للمشاهد، ويؤكد ذلك أيضا حركة الكاميرا بتنقلاتها السلسة والناعمة بالإضافة إلى التنوع المتناغم بين اللقطات البعيدة والمتوسطة والقريبة للمكان بكل مكوناته أثناء الحديث. إن هذه التكاملية بين المضمون والشكل يساعدان على تحويل الجمهور من حالة الكسل والملل إلى حالة الجدية والشغف للمشاهدة، ومن ثم يتم وصول الرسالة والهدف إلى الجمهور المستهدف، والذى هو محور وجوهر الحدث، إن هذه التكاملية يمكنها أيضا أن تغير نمطية التفكير من الحالة التقليدية إلى حالة مغايرة إلى روح تفكير مبتكر، فتحية واجبة إلى برنامج " مجالس الطيبين " وهذا الخطاب الجديد الذى أشار إلى أن ذبذبات أرض سيناء فى مصر، لا تقل أهمية عن ذبذبات النيل، وإن

مصر بموقها الجغرافى الفريد، وبأرض سيناء وكنوزها ـ هذا الرأسمال الطبيعى والسياسى ـ يعتبر موردا أصيلا من موارد الثروة القومية، والذى سوف يلعب دوره الحيوي مستقبلا في تقدم هذا الوطن.